

الوافي في الوفيات

لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي ... ألقاه من ألمٍ إذا لم تركب .
لرحمتني ورثيت لي من حالةٍ ... لولاك لم يك حملها من مذهبي .
قسماً بوجهك وهو بدرٌ طالعٌ ... وبليل طرتك التي كالغيهـب .
وبقامةٍ لك كالقضيـب ركبت في ... أخطارها في الحب أصعب مركب .
وبطيب ميسمك الشهي البارد ال ... عذب النمير اللؤلؤي الأشـب .
لو لم أكن في رتبة أرى لها ال ... عهد القديم صيانةً للمنصب .
لهتكت ستري في هواك ولذ لي ... خلع العذار ولو ألح مؤنبي .
لكن خشيت بأن تقول عواذلي ... قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي .
فارحم فديتك حرقه قد قاربت ... كشف القناع بحق ذياك النبي .
لا تفضحن محبك الصب الذي ... جرّ عته في الحب أكدر مشرب .

أخبرني من لفظه القاضي جمال الدين عبد القاه التبريزي وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى
قال : كان الذي يهواه القاضي شمس الدين هو الملك المسعود وكان قد تيممه حبه فكنت أنام
عنده في العادلية فتحدثنا في بعض الليالي إلى أن راح الناس من عنده فقال لي : نم أنت
وألقى عليّ فروة وقام يدور حول البركة في العادلية ويكرر هذين البيتين إلى أن أصبح
وتوضاً وصلينا . والبيتان المذكوران :

أنا وإيهاك ... آيس من سلامتي .

أو أرى القامة التي ... قد أقامت قيامتي .

ويقال إنه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق عنه فاستعفاه فألح عليه فقال : يقولون
إنك تكذب في نسبك وتأكل الحشيشة وتحب الغلمان . فقال : أما النسب والكذب فيه فإذا كان
ولا بد منه فكنت أنتسب إلى العباس أو إلى علي بن أبي طالب أو إلى أحد الصحابة وأما
النسب إلى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم فرس مجوس فما فيه فائدة . وأما الحشيشة فالكل
ارتكاب محرم وإذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر لأنه أذل . وأما محبة اللغلمان فإلى غدٍ
أجيبك عن هذه المسألة . قال قطب الدين اليونيني : سمعت من يذكر إنما خرّج له النسب إلى
البرامكة أبو شامة وليس كذلك . ووقفت على مجلدة من " تاريخ إربل " لوزيرها شرف الدين
وقد ذكر وفاة ابن عم قاضي القضاة وقد نسبته إلى البرامكة ولعل ذلك قبل خروجه من إربل .
وذكره صاحب كمال الدين في " تاريخ حلب " ونسبه إلى البرامكة .

ومن شعره :

وسرب طباءٍ في غديرٍ تخالعوا ... بدورٌ بأفق الماء تبدو وتغرب .
يقول عذولي والغرام مصاحبي ... أما لك عن هذي الصباية مذهب .
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى ... فقلت له : ذرهم يخوضوا ويلعبوا .
ومنه مضمناً : .

كم قلت لما اطلعت وجناته ... حول الشقيق الغصّ دوحة آس .
لعذاره الساري العجول بخدّه ... ما في وقوفك ساعةً من باس .
ومنه : .

لما بدا العارض في خده ... بشرت قلبي بالنعيم المقيم .
وقلت هذا عارضٌ ممطرٌ ... فجاءني فيه العذاب الأليم .
ومنه على ما قيل : .

أنظر إلى عارضه فوقه ... لحاطه ترسل منها الحتوف .
تشاهد الجنة في وجهه ... لكنها تحت ظلال السيوف .
ومنه : .

ولما أن تفرقنا ... وحالت نوب الدهر .
رأيت الشهد لا يحلو ... فما ظنك بالصبر .
ومنه : .

وما سر قلبي منذ شطت بك النوى ... نعيمٌ ولا لهوٌ ولا متصرف .
ولا ذقت طعم الماء إلا وجدته ... سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف .
ولم أشهد اللذات إلا تكلفاً ... وأيّ سرورٍ يقتضيه التكلف .
ومنه : .

أحبا بنا لو لقيتم في إقامتكم ... من الصباية ما لاقيت في طعني .
لأصبح البحر من أنفاسكم يبساً ... والبرّ من أدمعي ينشقّ بالسفن .
ومنه : .

تمثلتم لي والبلاد بعيدةٌ ... فخيّل لي أن الفؤاد لكم مغنى .
وناجاكم قلبي على البعد والنوى ... فأوحشتم لفظاً وأنستم معنى .
وقال في ملاحٍ أربعة يلقب أحدهم بالسيف : .

ملاك بلدتنا بالحسن أربعةٌ ... بحسنهم في جميع الخلق قد فتكوا